الباب الثانى

الخلفاء الأمويين

الفصل الأول :معاوية بن أبي سفيان

معاوية بن صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشيّ الأمويّ المعروف ب معاوية بن أبي سفيان كنيته أبو عبد الرحمن، هو أحد أبناء أبو سفيان بن حرب وأول خلفاء الدولة الأموية، كان والياً على الشام زمن خلافة عثمان بن عفان وبعد حادثة مقتل عثمان أصبح علي بن أبي طالب الخليفة بعده فحاربه معاوية إلى ان قتل علي من قبل ابن ملجم ثم تنازل الحسن بن علي عن خلافة لمعاوية وفق عهد بينهما وأسس معاوية الدولة الأموية واتخذ دمشق عاصمته أخذ البيعة لإبنه يزيد قبيل وفاته.

أبوه أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية واخته هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان وأبو سفيان من سادة قريش وواحد من ذوى الراى والحكمة في مكة وأمه هند بنت عتبة بنت ربيعة بن عبد شمس وهي أخت الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، وتجتمع مع أبى سفيان في عبد مناف بن قصي.

ولد معاوية بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وأسلم معاوية يوم فتح مكة وهو من الطلقاء الذين اسلموا يوم الفتح.

في خلافة أبو بكر تولى قيادة جيش مدد لأخيه يزيد بن أبي سفيان ، وأمره أبو بكر بأن يلحق به فكان غازيا تحت إمرة أخيه، وقاتل المرتدين في معركة اليمامة، وبعد ذلك أرسلهُ الخليفة أبو بكر مع أخيهِ يزيد لفتح الشام وكان معه يوم فتح صيدا وعرفة وجبل وبيروت وهم من سواحل الشام وتولى معاوية بن أبي سفيان ولاية الأردن في الشام سنة 21هـ في عهد عمر بن الخطاب وبعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان فى طاعون عمواس، ولاه عمر ولاية دمشق وما يتبع لها من البلاد، ثم جمع له الخليفة عثمان بن عفان على ولاية الشام كلها، فكان من ولاة أمصارها وبعد موت عثمان سنة 35هـ خرج على خليفة المسلمين علي بن أبي طالب ونادى بأخذ الثأر من قتلة الخليفة عثمان بن عفان وحرض على قتالهم وقبل ذلك وقعت موقعة الجمل حيث كانت عائشة بنت أبي بكر زوجة النبي ﷺ في جيش يقاتل خليفة المسلمين آنذاك وكان في قيادة الجيش طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وكانوا خرجوا جميعاً لأخذ الثأر من قتلة عثمان، وبعد موقعة الجمل قاد معاوية جيشاً ضد خليفة المسلمين علي بن أبي طالب وكانت موقعة صفين التي انتهت بالتحكيم الجبري، وبعد مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تولى الحسن بن

علي الخلافة فثار معاوية على الحسن وحاربه فما كان من الحسن إلا أن حقن دماء المسلمين وأقام عهداً مع معاوية ينص على أن الأمر يعود للمسلمين لاختيار خليفتهم بعد وفاة معاوية وهذا ما لم يحدث، وبموجب ذلك العهد تسلم معاوية الحكم فأصبح خليفة المسلمين في دمشق عاصمة دولة الخلافة الإسلامية.

بعد العهد الذي ابرمه معاوية مع الحسن بن علي بايعه المسلمون سنة 41 هـ، فسميّ ذاك العام بعام الجماعة، لاجتماع كلمة المسلمين فيه وأصبح معاوية بن أبي سفيان خليفة جميع المسلمين واتخذ من دمشق عاصمة ومقراً للخلافة الأموية والدولة الإسلامية وعمل في فترة خلافتهِ على توحيد البلاد الإسلامية وتقوية أواصر الدولة، وهو مؤسس لأكبر دولة إسلامية في التاريخ، وهي الدولة الأموية.

بعد قيام الدولة الأموية وعاصمتها دمشق وتولي معاوية بن أابي سفيان الخلافة وتقوية الدولة الإسلامية استأنف الفتوحات الإسلامية، في عهد معاوية بن أبي سفيان اتسعت رقعة بلاد المسلمين جهة بلاد الروم، وبلاد السند، وكابول، والأهواز، وبلاد ما وراء النهر، وشمال أفريقيا، حتى وصلت إلى أكبر اتساع لدولة في تاريخ الإسلام ، وقد أنشأ معاوية

أول أسطول حربي في تاريخ الإسلام وفتح به جزيرة قبرص وصقلية وجزر في البحر الأبيض المتوسط.

استطاع معاوية أن يضيق الخناق على الدولة البيزنطية من حدود دولته بالحملات المستمرة والاستيلاء على جزر رودس وأرواد، وقد كان لجزيرة أرواد على الساحل الشمالي في سوريا أهمية خاصة لقربها من القسطنطينية، حيث اتخذ منها الأسطول الإسلامي في حصارهِ الثاني للمدينة أوحرب السنين السبع 54 - 60 هـ قاعدة لعملياته الحربية، وذلك أن معاوية أعد أسطولاً ضخمًا وأرسله ثانية لحصار القسطنطينية، وظل مرابطًا أمام أسوارها من سنة 54 هـ إلى سنة 60 هـ، وكانت هذه الأساطيل تنقل الجنود من هذه الجزيرة ارواد إلى البر لمحاصرة أسوار القسطنطينية، وقد أرهق هذا الحصار البري والبحري البيزنطيين كما أنزل جيش المسلمين بالروم خسائر فادحة، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع المسلمون فتح القسطنطينية.

ومن أجل بناء أسطول إسلامي بحري قوي، أقام معاوية دارًا لصناعة السفن البحرية في مدن ساحل الشام وفي جزيرة الروضة، كما نفذ معاوية خطة لنقل أعداد من العرب المسلمين إلى الجزر في البحر الأبيض المتوسط لحمايتها ونشر الإسلام فى ربوعها فتم نزول المسلمين

بصقلية عام 48هـ، واستطاع فضالة بن عبيد الأنصاري فتح جزيرة جربا عام 49هـ وقد سار إليها في شتاء ذلك العام.

تولى معاوية أمر الأمة، وهي أقسام ثلاثة:القسم الأول شيعة بني أمية من أهل الشام والجزيرة ومن غيرهم في سائر الأمصار الإسلامية الذين كانوا ينادون بأخذ الثأر من قتلة خليفة المسلمين عثمان ابن عفان رضي الله عنه والقسم الثاني شيعة علي بن أبي طالب وهم الذين كانوا يحبونه ويرون أنه أحق بالأمر من معاوية وغيره وأن ذريته أحق بولاية أمر المسلمين من غيرهم ومعظم هؤلاء كانوا ببلاد العراق وقليل منهم بمصر والقسم الثالث الخوارج وهم أعداء الفريقين يستحلون دماء مخالفتهم ويرونهم مارقين من الدين، وهم أشداء الشكيمة متفانون فيما يعتقدون، يرون أن أول واجب عليهم قتال معاوية ومن تبعه وقتال شيعة علي لأن كلا قد ألحد في الدين فى زعمهم ومع ما بينهم من هذا التباين كانت أمة متمتعة بصفة الشجاعة والإقدام، ومثل هذه الأمة تحتاج لسياسة حكيمة في إدارة شئونها وإفاضة ثوب من الأمن عليها، أما معاوية نفسه فلم يكن أحد أوفر منه يداً في السياسة وكان الذي يهم معاوية ويقلقه أمر الخوارج لأنهم قوم لا ينفع معهم حسن السياسة لأنهم قوم غلو في الدين غلواً عظيماً وفهموا كثيراً منه على غير وجهه قاتلهم معاوية ولاحق الخارجين على سلطة الدولة وعلى تعاليم الإسلام.

إنشاء الدواوين المركزية: اهتم معاوية بإنشاء الدواوين خاصة المركزية منها والتى تساعد على إدارة شئون الدولة ومنها:

أ-ديوان الرسائل هو الهيئة المشرفة على تحرير رسائل الخليفة وأوامره وعهوده 0

ب-ديوان الخاتم انشأ معاوية ديوان الخاتم لتحقيق السرية والأمان لمراسلات الدولة0

ج-ديوان البريد حيث ادخل نظام البريد إلى الدولة الإسلامية في دمشق د-نظام الكتبه حيث عين كاتب لديوان الرسائل، وكاتب لديوان الخراج، وثالث لديوان الجند، ورابع لديوان الشرطة وخامس لديوان القضاء0

توطيد الأمن في خلافته : ويعتبر معاوية أول من اتخذ حاجباً فى الدولة الاسلامية حرصاً منه على ألا يتسلل إليه أحد لقتله وقد أمن نفسه بالحرس خوفاً من الخوارج ونوع من الأبهه التى رآها عند الروم وفى سبيل توطيد الأمن فى دولته قام بالآتى :

1-أسس جهاز الشرطة ووظيفتها المحافظة على الأمن والنظام0

2- أحسن اختيار الرجال والأعوان.

3-استخدام المال في تأكيد الولاء0

4-اتباع سياس العصا والجزرة مع الجميع 0

5- اتخذ جهازاً للمخابرات وكانت الأجهزة الداخلية والخارجية في عهد معاوية قويه جدا، وما يدل على قوتها اطلاعه على المراسلات التي بين الحسين وأهل العراق وقصة الأسير المسلم عند البيزنطين، الذي لطم على وجهه بين يدي ملك الروم وقول الأسير وإسلاماه أين أنت يا معاويه ،ووصل الخبر عند معاوية ويعتبر معاوية رمزًا للدهاء والسياسة وكانت العرب تضرب به المثل في ذلك ولعلّ أشهرها مصطلح شعرة معاوية،وهو كناية عن حسن السياسة أو الدبلوماسية في المصطلحات الحديثة كان يقول إنّي لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، كانوا إذا مدّوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

ما من شيء ألذّ عندي من غيظ أتجرّعه وأغلظ له رجل فأكثر، فقيل له أتحلم عن هذا؟ قال إنّي لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا.

قيل لمعاوية أيّ الناس أحبّ إليك قال أشدّهم لي تحبيبًا إلى الناس.

إنّي لأرفع نفسي من أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوي وجهلٌ أكبر من حلمي وعورة لا أواريها بستري وإساءة أكثر من إحساني وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم يا ابن أخي إنّك قد لهجت بالشعر فإيّاك والتشبيب بالنساء فتعيّر الشريفة؛ والهجاء فتعيّر كريمًا وتستثير لئيمًا؛ والمدح فإنه طعمة الوقاح ولكن افخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزيّن به نفسك وتؤدّب به غيرك.

توفّي في دمشق عن 78 سنة بعدما عهد بالأمر إلى ابنه يزيد بن معاوية ودفن في دمشق وكانت وفاته في رجب سنة 60 هـ كان خلالها والياً لمدة 20 عام وخليفة ل 20 عام أخرى يلقبه أهل السنة والجماعة بخال المؤمنين، ويذكرون انه كان بعد إسلامه يكتب الوحي بين يدي الرسول محمد بن عبد الله ﷺ

والجدير بالذكر ان الرسول قد أشار ان خلافة النبوة من بعده ثلاثون عاما ثم ملك بعدها، ومن المعروف أن الرسول ﷺ قد توفي سنة 11 هـ، أي أن في عام 41 هـ قد اكتملت الثلاثون عاما التي قد أشار إليها النبي ﷺ وبالإضافة إلى الحديث الصحيح الآخر الذي اورده البخاري في صحيحه وهوأخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر، فقال ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.

الفصل الثانى يزيد بن معاوية

يزيد بن معاوية بن ابي سفيان (25 - 64 هـ الموافق 645 - 683 م)، ولد بالمطرون، ونشأ في دمشق. هو ابن الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، وفي الترتيب الزمني للخلافة يعتبر سادس خلفاء المسلمين وثاني خلفاء بني أمية، وقد حكم لمدة اربع سنوات كانت من أكثر الفترات تأثيراً ودمويةً في التاريخ الإسلامي ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 60 هـ. توفي يزيد في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين. وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية.

بدأ معاوية بن أبي سفيان يفكر فيمن يكون الخليفة من بعده، ورأى أنه إن لم يستخلف ومات يذهب الأمر إلى بني هاشم فقام معاوية باستشارة أهل الشام في الأمر، فاقترحوا أن يكون الخليفة من بعده من بني أمية، فرشح ابنه يزيد، وتمت الموافقة من وأرسل إلى المدينة يستشيرها وإذ به يجد المعارضة من الحسين وابن الزبير، وابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر، وابن عباس0

وكان اعتراضهم بادئ ذي بدء حول تطبيق الفكرة نفسها، لا على يزيد بعينه، لأنه مخالف لشرط الصلح الذي كان بين الحسن

بـن علـي ومعاويـة وتجـدر الإشـارة هنـا إلـى أن المـؤرخين والمفكـرين المسلمين قد وقفوا حيال هذه الفكرة مواقف شتى، ففيهم المعارض ومنهم المؤيد، وكانت حجة الفريق المعارض تعتمد على ما أوردته بعض الروايات التاريخية، التي تشير أن يزيد بن معاوية كان شاباً لاهياً عابثاً، مغرماً بالصيد وشرب الخمر وتربية الفهود والقرود والكلاب.

يـروي الـبلاذري أن محمـد بـن علـي بـن أبـي طالـب ـ المعروف بـابن الحنفية ـ دخل يوماً على يزيد بن معاوية بدمشق ليودعه بعد أن قضى عنده فترة من الوقت، فقال له يزيد، وكان له مكرما يا أبا القاسم، إن كنت رأيت مني خُلُقاً تنكره نَزَعت عنه، وأتيت الذي تُشير به علي؟ فقال والله لو رأيت منكراً ما وسعني إلاّ أن أنهاك عنه، وأخبرك بالحق لله فيه، لما أخذ الله على أهل العلم عن أن يبينوه للناس ولا يكتموه، وما رأيت منك إلاّ خيراً ويروي ابن كثير أن عبد الله بن مطيع وكان داعية لابن الزبير مشى من المدينة هو وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الكتاب، فقال محمد ما رأيت منه ما تذكرون، قد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير يسأل عن الفقه ملازماً للسنة، قالوا ذلك كان منه تصنعاً لك، قال وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ ثم أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب

الخمر، فلئن كان أطلعكم على ذلك فإنكم لشركاؤه، وإن لم يكن فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا، قالوا إنه عندنا لحق وإن لم نكن رأيناه، فقال لهم أبى الله ذلك على أهل الشهادة، ولست من أمركم في شيء.

كما أن مجرد موافقة عدد من كبار الشخصيات الإسلامية، من أمثال أبو أيوب الأنصاري،على مصاحبة جيش يزيد في سيره نحو القسطنطينية كان رضاً بالأمر والواقع حيث أن كل فرد مسئول عن حسناته وسيئاته هو فقط وأنهم لم يكونوا يعتقدوا بكفر يزيد وأيضا أن منفعة الإسلام بخروجهم للقتال مع هذا الشخص كانت به منفعة للمسلمين خيراً من رفض المشاركة مع أسوأ شخصية بعد وفاة الرسول ﷺ0

وبالرغم من كل ما سبق أن أوردناه من روايات، فإن أحد المؤرخين المحدثين قد أعطى حكماً قاطعاً بعدم أهلية يزيد للخلافة، دون أن يناقش الآراء التي قيلت حول هذا الموضوع، أو أن يقدم أي دليل تاريخي يعضد رأيه، ويمضي ذلك المؤرخ المحدث في استنتاجاته، فيرى أن معاوية لم يبايع لولده يزيد بولاية العهد، إلاّ مدفوعاً بعاطفة الأبوة وهو الخليفة الأموي المجرم الفاسق الذي ارتكب مذبحة كربلاء بأمره قال ذلك المؤرخ عنه ولد عام 25هـ وكان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة ولما مات معاوية بويع بالخلافة، وكان معاوية قبل موته قد اخذ

لـه البيعـة كـولي للعهـد كـان يزيـد يضـمر الإلحـاد ولا يعتقـد بالمعـاد، وفـي أيامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب وعندما دعا الوليد ومروان الحسين لمبايعة يزيد، صرّح لهم بفسقه وفجوره قائلاً يزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن الفسق ومثلي لا يبايع مثله ورأى الحسين في يزيد له سابقة؛ فحينما أثنى عليه معاوية في اجتماع كان فيه الحسين رضي الله عنه قال وأحصى مفاسد يزيد، واستنكر على معاوية أخذ البيعة له.

قال عنه ابن الجوزي ما رأيكم في رجل حكم ثلاث سنين؛ قتل في الأولى الحسين بن علي، وفي الثانية أرعب المدينة وأباحها لجيشه، وفي السنة الثالثة ضرب بيت الله بالمنجنيق، وهي إشارة إلى واقعة كربلاء، ووقعة الحرة التي ثار فيها أهل المدينة ضد واليها وأخرجوه منها وسائر بني أمية وبايعوا عبد الله بن الزبير، فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة على رأس جيش فقتل أهلها واستباحها وفي عام 64 هـ أرسل نفس ذلك الجيش لقمع ثورة عبد الله بن الزبير بمكة، فهجم عليها وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرق البيت الحرام وقتل خلقاً كثيراً من أهلها وقد ذكر الخوارزمي الحنفي في كتابه أن يزيد قد أمر عبيد الله بقتل الحسين بل وقتل كل من لم يبايعً ،وإليك لفظه بعينه ثم كتب صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة أما بعد، فخذا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر

وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليَّ برأسه، والسلام وقد ذكر ابن الأثير في كاملة رسالة ابن عباس ليزيد بعد مقتل الحسين وطلب يزيد لمودته وقربه بعد امتناع ابن عباس عن بيعة ابن الزبير أما بعد فقد جائني كتابك فأما تركي بيعة ابن الزبير فو الله ما أرجو بذلك برك ولا حمدك ولكن الله بالذي أنوي عليم وزعمت أنك لست بناس بري فأحبس أيّها الإنسان برك عني فإني حابس عنك بري وسألت أن أحبب الناس إليك وأبغضهم وأخذلهم لابن الزبير فلا ولا سرور ولا كرامة كيف وقد قتلت حسيناً وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام غادرتهم خيولك بأمرك في صعيد واحد مرجلين بالدماء مسلوبين بالعراء مقتولين بالظماء لامكفنين ولا مسودين تسفي عليهم الرياح وينشي بهم عرج البطاح حتى أتاح الله بقوم لم يشتركوا في دمائهم كفنوهم وأجنوهم وبي وبهم لوعززت وجلست مجلسك الذي جلست فما أنسى من الأشياء فلست بناس طردك حسيناً من حرم رسول الله إلى حرم الله وتسييرك الخيول إليه فما زلت بذلك حتى أشخصته إلى العراق فخرج خائفاً يترقب فنزلت به خيلك عداوة منك لله ولرسوله ولأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فطلب إليكم الموادعة وسألكم الرجعة فاغتنمتم قلة أنصاره واستئصال أهل بيته وتعاونتم عليه كأنكم قتلتم أهل بيت من

الترك والكفر، فلا شيء أعجب عندي من طلبك ودي وقد قتلت ولد أبي وسيفك يقطر من دمي وأنت أحد ثاري ولا يعجبك إن ظفرت بنا اليوم فلنظفرن بك يوماً والسلام .

وقد صرّح بقتل يزيد للحسين أقرب الناس إلى يزيد وهو معاوية ابنه قال ابن حجر المكي لما ولي معاوية بن يزيد صعد المنبر فقال إن هذه الخلافة حبل الله، وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون، حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم بكى وقال إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ وأباح الخمر، وخرب الكعبة) وأما من أفتى من أهل السنّة بكفر يزيد وجواز لعنه (شذرات من ذهب / ابن العماد الحنبلي 1 / 68)، فنقول لك قد أفتى كل من سبط ابن الجوزي والقاضي أبو يعلى والتفتازاني والجلال السيوطي وغيرهم من أعلام السنّة القدامى بكفر يزيد وجواز لعنه قال اليافعي (وأمّا حكم من قتل الحسين، أو أمر بقتله، ممّن استحلّ ذلك فهو كافر) وقال التفتازاني في (شرح العقائد النفسية) (والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين، واستبشاره بذلك، وإهانته أهل بيت الرسول ممّا تواتر معناه، لعنة الله عليه، وعلى أنصاره

وأعوانه) وقال الذهبي عنه (كان ناصبياً فظاً غليظاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الحسين، وختمها بوقعة الحرّة) وقال ابن كثير فى البداية 223/8 (إن يزيد كان إماماً فاسقاً...) وقال المسعودي فى مروج الذهب 82/3 (ولمّا شمل الناس جور يزيد وعماله وعمّهم ظلمه وما ظهر من فسقه ومن قتله ابن بنت رسول الله ﷺ وأنصاره وما أظهر من شرب الخمر، سيره سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيّته، وأنصف منه لخاصّته وعامّته أخرج أهل المدينة عامله عليهم، وهو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان) وروي أنّ عبد الله بن حنظلة الغسيل قال (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، أنّه رجل ينكح أمّهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة)(الكامل 310/3 وتاريخ الخلفاء 165) وقد صنّف أبو الفرج ابن الجوزي الفقيه الحنبلي الشهير كتاباً في الردّ على من منع لعن يزيد وأسماه (الردّ على المتعصّب العنيد) وبالرغم من الصراعات الشديدة التي حدثت في عهد يزيد، فإن الفتوحات الإسلامية لم تتوقف، واستمرت في العديد من الجهات، فهناك في الشرق واصلت الجيوش ألأموية الإسلامية فتوحاتها في خراسان وسجستان تحت قيادة مسلم بن زياد، فغزا سمرقند وجُجَنْدة، أما هناك في الغرب فقد أعاد يزيد بن معاوية، عقبة بن نافع واليًا على أفريقية، وكان معاوية قد عزله

عنها، فواصل عقبة بن نافع فتوحاته بحماس منقطع النظير وقال إنى قد بعت نفسى لله- عز وجل-، فلا أزال أجاهد من كفر بالله ففتح مدينة باغاية في أقصى أفريقية، وهي مدينة بالمغرب، وهزم الروم والبربر مرات عديدة، ثم واصل المسير إلى بلاد الزاب، فافتتح مدينة أَرَبَة وافتتح تَاهَرْت وطَنْجة والسُّوس الأدنى، ثم صار إلى بلاد السوس الأقصى، واستمر في فتوحاته حتى بلغ مليان، حتى رأى البحر المحيط (المحيط الأطلنطي) فوقف عليه وقال مقالته التي حفظها له التاريخ يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدًا في سبيلك ثم عاد راجعًا إلى القيروان.

توفي أثناء حصار مكة جاءت الأخبار بوفاة يزيد بن معاوية والبيعة لابنه معاوية وكان سنة أربع وستين، وكانت وفاته بحوران من أرض الشام.

الفصل الثالث معاوية بن يزيد

معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، يعرف بمعاوية الثاني، ثالث خلفاء بني أمية وصل إلى الخلافة بعد أبوه يزيد سنة 64 وكانت خلافته ثلاثة أشهر بقولٍ وأربعين يوماً بقولٍ آخر، وبعدها صعد المنبر وأعلن تركه للخلافة.

قال المسعودي وَمَلَكَ معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه، فكانت أيامه أربعين يوماً إلى أن مات، وقيل شهرين، وقيل غير ذلك، وكان يكنى بأبي يزيد، وكني حين ولي الخلافة بأبي ليلى، وكانت هنه الكنية للمستضعف من العرب، ولما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له اعْهَدْ إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال والله ما ذُقْتُ حلاوة خلافتكم فكيف أتقلّد وزرَهَا وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل مرارتها، اللهم إني بريء منها متخل عنها، اللهم إني لا أجد نفراً كأهل الشورى فأجعلها إليهم ينصبون لها من يرونه أهلاً لها فقالت له أمه ليت إني خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام، فقال لها وليتني يا أماه خرقة حيض ولم أتقلد هذا الأمر، أتفوز بنو أمية بحلاوتها وأبوءُ بوزرها وَمَنْعِها أهْلَها؟ 0

كلا إني لبريء منها وقد تنوزع في سبب وفاته، فمنهم من رأى أنه سقي شربة ومنهم من رأى أنه مات حَتْفَ أنفه، ومنهم من رأى أنه طعن، وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، ودُفن بدمشق، وصَلّى عليه الوليدُ بن عُتْبَة بن أبي سفيان، ليكون الأمر له من بعده، فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتاً قبل تمام الصلاة، فقدم عثمان بن عتبة بن أبي سفيان، فقالوا نبايعك؟ قال على أن لا أحارب ولا أباشر قتالاً، فأبَوْا ذلك عليه، فصار إلى مكة، ودخل في جملة ابن الزبير.

الفصل الرابع :مروان بن الحكم

الخليفة الأموي الرابع في دمشق البعض يجعله من صغار الصحابة والبعض يجعله من كبار التابعين ولد عام 2 هـ، وقيل 4 هـ بمكة المكرمة وتوفي سنة 65 هـ بدمشق أمه أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان الكنانية كان فقيهاً ضليعاً، وثقة من رواة الحديث روى له البخاري وأصحاب السنن الأربعة وكان كاتبا لعثمان بن عفان أثناء خلافته، وتولي إمرة المدينة وموسم الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان واستمر كذلك في أوائل عهد يزيد بن معاوية حتى أُخرج من المدينة إلى دمشق بعد أن رفض أهل المدينة مبايعة يزيد.

بويع له بالخلافة من قبل بني أمية بعد موت معاوية بن يزيد كان نفوذ الأمويين قد ضعف حيث بايعت أغلب الأقاليم الخليفة عبد الله بن الزبير حتى الشام، معقل نفوذ الأمويين كانت قد انقسمت بين مبايعين لمروان بن الحكم ومبايعين لعبد الله بن الزبير وعلى رأسهم الضحاك بن قيس الذي سيطر على دمشق فهاجم مروان جيش الضحاك فواقعه بمرج راهط وهزمه بعد السيطرة على الشام، خرج مروان بجيشه إلى مصر التي كانت

قد بايعت عبد الله بن الزبير ودخلها وولى ابنه عبد العزيز بن مروان عليها وبسقوط مصر التي كانت تمد عبد الله بن الزبير بالغلال في مكة أصبح وضعة ضعيفاً.

بعث مروان بجيشين أحدهما إلى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير والثاني لمحاربة مصعب بن الزبير شقيق عبد الله ووالية على العراق هُزم الجيش الأول بينما لم يحقق الجيش الثاني أهدافه ومات مروان بعد أن نجح في إخضاع الشام ومصر للأمويين بينما فشل في السيطرة على الحجاز والعراق وتولى ابنه عبد الملك بن مروان الخلافة من بعده ونجح في القضاء على عبد الله بن الزبير وبسط سيطرته على كافة الدولة الإسلامية وفتح المغرب العربي.

أخرج الإمام ابن عساكر عن التابعي الجليل جويرية بن أسماء قال لما مات الحسن بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟! فقال مروان إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار بيده إلى الجبل إشارة إلى عِظَمِ حِلم الحسن بن علي وقال الأصمعي لم يكن للحسين بن علي عقبٌ إلا من ابنه علي بن الحسين، ولم يكن لعلي ولد إلا من أم عبد الله بنت الحسن وهي ابنة عمه، فقال له مروان بن الحكم أرى نسل أبيك قد انقطع، فلو اتخذت السراري لعل الله

أن يرزقك منهن فقال علي بن الحسين ما عندي ما أشترى به السراري قال فأنا أقرضك فأقرضه مئة ألف درهم، فاتخذ السراري، وولد له زيد وعلي والحسين وعمر الأشرف ومات مروان بن الحكم سنة 65هـ بعد أن عهد بالخلافة لابنيْه عبد الملك، ثم عبد العزيز.

الفصل الخامس: عبد الملك بن مروان بن الحكم

خامس الخلفاء الأمويين وكان من أعظم خلفاء بني أمية لقب بأبى الملوك، كان واسع العلم متعبدا ناسكا شجاعاً قوياً، توسعت الدولة الأموية في عهده وازدهرت وكانت دمشق عاصمة الدولة منارة للعلم وأعظم مدن العالم الإسلامي.

ولد عبد الملك بن مروان وتربى في المدينة المنورة فقد كان أبوه مروان بن الحكم واليًا عليها في عهد معاوية بن أبي سفيان، فدرس عبد الملك العلوم الإسلامية وتفوق في دراسته، انتقل إلى دمشق واخذ العلم من فقهائها وأصبح من المفكرين والفقهاء وتكونت شخصيته القيادية في دمشق حاضرة الدولة الأموية وهو فوق ذلك شاعر وأديب وخطيب وقد وصف بأنه ثابت الجأش عند الشدائد، يقود جيشه بنفسه كما لقب بأبى الملوك إذ أن 4 من أبنائه تولوا الخلافة من بعده (الوليد - سليمان - يزيد الثاني وهشام).

تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد موت والده مروان بن الحكم وكانت الدولة الإسلامية مقسمة بين خلافتين كانت الدولة الأموية تحكم مصر والشام بينما العراق والحجاز تحت خلافة عبد الله بن الزبير الذي كان يدير خلافته من مكة وبعث عبد الملك بن مروان بالحجاج بن يوسف الثقفي لكي يبسط نفوذ الأمويين على كامل الأراضي الإسلامية.

خرج الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق وهزم والي البصرة ثم خرج بجيشه إلى الطائف،وانتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش، فتوالت الجيوش عليه حتى تقوى تماماً، فسار إلى مكة وحاصر ابن الزبير فيها، ونصب المنجنيقات على جبل أبي قبيس وعلى قعيقعان، ودامت الحرب أشهراً وقتل فيها ابن الزبير وهزم جيشه وولى عبد الملك الحجاج على العراق لكثرة فتنها والخوارج وظهر بعدها عبد الرحمن بن الأشعث لينقلب على الدولة الأموية فطلب الحجاج من الخليفة عبد الملك بن مروان المدد فأتاه ما أراد وقطع رأس بن الأشعث.

عمل الخليفة عبد الملك بن مروان في فترة خلافته على ارساء أسس الدولة الإسلامية وحماية الدولة ونشر الإسلام في بلاد بعيدة حيث تم فتح بلاد المغرب في خلافته وكرم العلماء والمفكرين واجتذبهم إلى دمشق منارة العلم وانشأ دور العلم في عاصمة الدولة وفي المدن الإسلامية

وتمت في عصره الكثير من الانجازات التي ما زالت حتى اليوم واجتهد عبد الملك بن مروان في تأمين حدود الدولة وأخضع أرمينيا وسواحل سورية وفتح حصون هامه منها مرعش وعمورية وانطاكية وأصدر الأمر بتولى عقبة بن نافع أمر أفريقيا وتكملة الفتوحات فيها، واتجه لفتح المزيد من البلاد، وأظهر براعة في إدارة شئون الدولة واستعان بنخبة من أمهر رجال عصره وأنجز الكثير في عصره واصدر عملة إسلامية موحدة الأوزان وكانت خطوه اقتصادية كبيرة حررت اقتصاد الدولة الإسلامية من الاعتماد على العملة الأجنبية وأهمها الدينار البيزنطي، وعرب الدواوين والخراج ودرب الكوادر على إدارة شئون المال وكانت خطوه هامة في التاريخ الإسلامي وفى سنة 86هـ/705م بوفاة الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله رحمة واسعة.

الفصل السادس: الوليد بن عبد الملك بن مروان

الأموي القرشي، أبو العباس حكم من 705 حتى 715 أمه وليدة بنت العباس بن حزن الحارثية العبسية كان ولي عهد أبيه الخليفة عبد الملك بن مروان في دمشق وولي عهده أخوه سليمان بن عبد الملك.

أيام حكم الوليد وفي قمة ازدهار الدولة الأموية وجه القادة من دمشق لفتح البلاد في مختلف الاتجاهات، وكان من رجاله محمد بن القاسم الذي فتح بلاد السند وقتيبة بن مسلم عامل (والى) خراسان الذي فتح بلاد ما وراء النهر وموسى بن نصير الذي انضم إلى طارق بن زياد في فتح غرب أفريقية وفي فتح الأندلس بلغت الدولة الأموية في عهده أوج عزها حيث فتحت جيوشه بخارى وسمرقند وخوارزم، وفرغانة والهند وطنجة والأندلس امتدت في زمنه حدود الدولة الإسلامية من المغرب الأقصى و إسبانيا غربا ووصل اتساع الدولة الأموية إلى بلاد الهند وتركستان فأطراف الصين شرقا في وسط آسيا لتكون بذلك الدولة الأموية أكبر امبراطورية إسلامية عرفها التاريخ0

فتح بلاد ما وراء النهر

تقع هذه البلاد حالياً في جنوب روسيا وفي كازاخستان وتمتد شرقاً في أواسط قارة آسيا وكانت تسكنها في هذا الوقت قبائل تركية وثنية، قاد قتيبة بن مسلم الجيش والذي كان والى خراسان فاستولى على مرو ثم واصل زحفه إلى خوارزم واستولى بعد ذلك على بخارى وسمرقند وواصل زحفه حتى وصل أطراف الصين، اعتنق أغلب هذه البلاد الإسلام وظهر منهم العديد من العلماء فيما بعد مثل ابن سينا والخوارزمي والفارابي والبخارى ثم استمرت فتوحاته إلى أن بلغت بلداناً تقع في شمال غرب الهند (ضمن باكستان) وكان أهلها وثنيين واشتهروا بالأوثان المصنوعة من النحاس، قاد الجيش محمد بن القاسم الذي اشتهر بالشجاعة والذكاء فاستولى على هزنة وواصل زحفه حتى نهر السند الذي كان يفصل بلاد السند عن بلاد الهند في ذلك الوقت، بعد الفتح اعتنق أغلب سكان بلاد السند الإسلام ونقلوا إلى العرب الحضارة الهندية وبعض العلوم مثل الفلسفة والرياضيات، زار الوليد بن عبد الملك هذه البلاد وبنى بها الكثير من المساجد الموجودة حتى الآن

فتح بلاد المغرب العربي: تقع هذه البلاد حالياً في الجزائر وموريتانيا وكان أهلها بربر وثنيون، قاد الجيش موسى بن نصير ومعه القائد

البربرى طارق بن زياد فاستولوا على طنجة ثم سبتة حتى وصلوا إلى شاطئ المحيط الأطلنطى والأندلس التى تقع حالياً مكان اسبانيا والبرتغال وكان يحكمها القوط الغربيون الذين كانوا مسيحيين ولكن كانوا يؤمنون بأن المسيح ليس اله أو ابن الإله لكنه مخلوق عادى كسائر البشر، تطلع المسلمون لفتح الأندلس فقاد الجيوش طارق بن زياد وعبر بها مدخل البحر المتوسط عند المضيق المعروف الآن باسم مضيق جبل طارق ووصل إلى القوط وانتصر على رودريك ملك القوط الغربيون في معركة وادي لكة واستولى على عاصمتهم طليطلة ثم انضم إليه موسى بن نصير وتمكنا هما الأثنان بجيوشهما من فتح شبه الجزيرة حتى وصلوا إلى جبال البرانس التي كانت تفصل بلاد الأندلس عن بلاد الفرنجة وامن طرق الدولة في مختلف الاتجاهات من دمشق إلى الحجاز وإلى أفريقيا وإلى كافة الاتجاهات كما حفر الآبارعلى طول هذه الطرق، ووظف من يعتنى بهذه الآبار ويمد الناس بمياهها وهو أول من أقام المستشفيات في الإسلام وحجز المجذومين وأجرى لهم الأرزاق، وأعطى لكل أعمى قائدا ولكل مقعد خادما، يتقاضون نفقاتهم من بيت المال في دمشق، وتعهد الأيتام وكفلهم ورتب المؤدبين، وأقام بيوتا ومنازل لإقامة الغرباء.

واهتم بالعمران في مدن الدولة الأموية وفي عاصمتها دمشق وأنشأ الطرق خاصة الطرق المؤدية إلى الحجاز والجزيرة وبيوت الرعاية ومن

آثار الوليد الخالدة في العمارة الجامع الأموي بدمشق وكان يعد من عجائب الدنيا، ولا يزال حتى اليوم ناطقا بعظمة الوليد ويعد من معالم الإسلام الخالدة عبر العصور ومن آثاره عمارة المسجد النبوي والمسجد الأقصى الذي بدأ به أبوه، وللوليد الكثير من المحاسن في العدل وتوحيد المسلمين وبناء الدولة بكل عظمتها وجعل حق العلاج في المستشفيات مجاني لكل مريض فقيراً كان أو غنياً، مسلماً كان أو ذمياً وقدم المعونة والمساعدة للمحتاج وأقام دور الرعاية وجعل لذلك موظفين وشاع بناء المستشفيات في العصر الأموي حتى أصبح في الكثير من المدن الإسلامية ولم يكن المغرب الإسلامي أقل اهتماماً من المشرق ببناء المستشفيات، إذ كان في قرطبة أيام الدولة الأموية خمسون مستشفى.

توفي الوليد بن عبد الملك بمنطقة دير مروان بغوطة دمشق ودفن في دمشق وكان عمره 48 سنة ومدة حكمه عشر سنوات وبضعة أشهر.

الفصل السابع: سليمان بن عبد الملك

سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (54-99 هـ/674-717 م)، الخليفة الأموي السابع، وهو يعد من خلفاء بني الامية الأقوياء، ولد بدمشق وولي الخلافة يوم وفاة أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك عام 96هـ ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور وكان الناس في دمشق يسمونه مفتاح الخير ويحبونه ويتباركون به أشاع العدل وأنصف كل من وقف ببابه، والخليفة سليمان بن عبد الملك يتصف بالجمال والوقار،عظيم الخلقة طويل القامة أبيض الوجه مقرون الحاجبين فصيحاً بليغاً، عمل في فترة تولية الخلافة كل ما فيه مصلحة الناس وحافظ على اتساع وقوة الدولة الأموية وأهتم بكل ما يعني الناس أطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن معاملة الجميع فكسب محبتهم وكان من أعدل خلفاء بني أمية والمسلمين واستخلف عمر بن عبد العزيز من بعده.

في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك استمرت الفتوحات الأموية في آسيا وفتحت جرجان وطبرستان،

وجهز جيشا كبيراً من سواحل الشام وأعد الأسطول الأموي وسيره في السفن لحصار القسطنطينية، وسار مع الحملة وعزم أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يموت فمات مرابطاً في دابق شمال مدينة حلب ويروى عن ابن سيرين أنه قال يرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلافه عُمر وقال جرير فيه سليمان المبارك قد علمتم هو المهديُّ قد وضح السّبيل عدل بين الناس الواضح في تعامله وإطلاق اسم مفتاح الخير عليه من قبل العامة اختياره للخليفة عمر بن عبد العزيز لتولى الخلافة من بعده ولم يكن متساهلاً في التعامل مع المخطئين ومن ثبت أنهم ارتكبوا بعض الأخطاء فعزل محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند،وأُتي به مقيداً، حيث وضع في السجن وظل به إلى أن لقي ربه ومن العجيب أن هذا البطل الذي قتله أهله وعشيرته حزن عليه أهل السند الذين فتح بلادهم لما رؤوا فيه من عدل وسماحة وحرية وكذلك بموسى بن نصير حيث عاقبه في بادئ الأمر بعد فتح الأندلس، ثم لم يلبث أن عفا عنه، حتى إنه صاحبه في حجه سنة 97هـ .

وأما قتيبة بن مسلم الباهلي، فاتح ما وراء النهر وهو من قادة الحجاج، فقد كان يعلم مقدار كراهية سليمان بن عبد الملك للحجاج، فلما ولي الخلافة خشي قتيبة من انتقامه؛ لأنه وقف إلى جانب الوليد بن عبد الملك حين أراد أن يخلع أخاه سليمان من ولاية العهد ويجعلها لابنه؛ لكن

حركته فشلت وانتهت بقتله سنة 96 هـ ، وقيل أنه لم يتمرد ولكن وقع ضحية مؤامرة حاكها بعض الطامعين بالولاية.

وفي أثناء حصار القسطنطينية توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو مقيم بمرج دابق يتابع الأخبار عن الجيش في 10صفر 99هـ يقول ابن كثير في البداية والنهاية تعهد ألا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت؛ فمات هناك فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله وقد توج سليمان بن عبد الملك أعماله بما يدل على حرصه على مصلحة المسلمين؛ فاختار عمر بن عبد العزيز قبل موته ليكون ولياً للعهد ويخلفه من بعده، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة أصدر أوامره بسحب القوات الإسلامية المحاصرة للقسطنطينية والعودة إلى الشام.

الفصل الثامن عمر بن عبد العزيز

ثامن الخلفاء الأمويين، خامس الخلفاء الراشدين من حيث المنظور السني، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب حيث كانت أمه هي أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصبح الخليفة عمر بن الخطاب جد الخليفة عمر بن عبد العزيز ولد في المدينة المنورة وقد تلقى علومه وأصول الدين على يد صالح بن كيسان في المدينة المنورة واستفاد كثيراً من علماءها ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية وزوجه ابنته فاطمة وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسمى دير سمعان وظل والياً عليها حتى سنة 86 هـ.

لقِّب بخامس الخلفاء الراشدين لسيره في خلافته سيرة الخلفاء الراشدين. تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك في دمشق سنة 99 هجرية وقد سمي الخليفة العادل لمكانته وعدله في الحكم قال عنه محمد بن علي بن الحسين أما علمت أن لكل قوم نجيبًا، وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده وفي ربيع الأول من

عام 87هـ ولاّه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إلية ولاية الطائف سنة 91 هـ وبذلك صار والياً على الحجاز كلها واشترط عمر لتوليه الإمارة ثلاثة شروط الشرط الأول أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحداً ولا يجور على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال، ويترتب على ذلك أن يقل ما يرفع للخليفة من المال من المدينة والشرط الثاني أن يسمح له بالحج في أول سنة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج الشرط الثالث أن يسمح له بإلغاء أن يخرجه للناس في المدينة فوافق الوليد على هذه الشروط، وباشر عمر بن عبد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحاً شديداً ومن أبرز الأعمال التي قام بها في المدينه وهو عمل مجلس الشورى يتكون من عشر من فقهاء المدينة ثم عينة الخلفية الأموى سليمان بن عبد الملك وزيراً في عهده قال عنه سفيان الثوري الخلفاء الراشدين الخلفاء خمسة أبو بكر، وعمر، وعثمان ،وعلي، وعمر بن عبد العزيز.

وعن شدة إتباعه للسنة قال حزم بن حزم قال عمر لو كان كل بدعة يميتها الله على يدي وكل سنة ينعشها الله على يدي ببضعة من لحمي، حتى يأتي آخر ذلك من نفسي، كان في الله يسيراً اتفقت كلمة المترجمين على أنه من أئمة زمانه، فقد أطلق عليه كل من الإمامين مالك وسفيان بن عيينه وصف إمام، وقال مجاهد أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه

،وقال ميمون بن مهران كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء، قال فيه الذهبي كان إماماً فقيهاً مجتهداً،عارفاً بالسنن ،كبير الشأن حافظاً قانتاً لله أواهاً منيباً يعد في حسن السيرة والقيام بالقسط مع جده لأمة عمر، وفي الزهد مع الحسن البصري وفي العلم مع الزهري ولما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة أمر عمر بن عبد العزيز على المدينة فظل والياً عليها من سنة 86 هـ حتى 93 هـ ولما قدم على المدينة والياً صلى الظهر ودعا بعشرة عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالماً وخارجة بن زيد بن ثابت وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر بن سليمان وعبد الله بن عامر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إني دعوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحداً يتعدى، أو بلغكم عن عامل ظلامة فأحرج بالله على من بلغه ذلك إلا أبلغني فجزوه خيراً وافترقوا.

بنى في مدة ولايته هذه المسجد النبوي ووسعه عن أمر الوليد له بذلك واتسعت ولايته فصار والياً على الحجاز كلها، وراح ينشر بين الناس العدل والأمن، وراح يذيقهم حلاوة الرحمة، وسكينة النفس، نائياً بنفسه عن مظالم العهد وآثامه، متحدياً جبارية وطغاته، وعلى رأسهم الحجاج بن يوسف الثقفي،وكان عمر يمقته أشد المقت بسبب طغيانه وعَسْفه،

وكان نائباً على الحج في إحدى السنين فأرسل عمر إلى الوليد يسأله أن يأمر الحجاج ألا يذهب إلى المدينة ولا يمر بها، رغم أنه يعرف ما للحجاج من مكانة في نفوس الخلفاء الأمويين أجاب الخليفة طلب عمر وكتب إلى الحجاج يقول إن عمر بن عبد العزيز كتب إليَّ يستعفيني من ممرك عليه بالمدينة، فلا عليك ألا تمر بمن يكرهك، فنح نفسك عن المدينة وشى به الحجاج وشاية إلى الوليد كانت سبباً في عزله، ولما عُزِل منها وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه يا مزاحم نخشى أن نكون ممن نفت المدينة يعني أن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وينصع طيبها، ونزل بمكان قريب منها يُقال له السويداء حيناً، ثم قدم دمشق على بني عمه.

إن الوليد بن عبد الملك عزم على أن يخلع أخاه سليمان من ولاية العهد، وأن يعهد إلى ولده، فأطاعه كثير من الأشراف طوعاً وكرهاً، فامتنع عمر بن عبد العزيز وقال لسليمان في أعناقنا بيعة وصمم، فعرفها له سليمان وفى عهد سليمان قال سليمان بن عبد الملك لعمر بعد أن ولي يا أبا حفص إنا ولينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم، فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فأقيمت الصلوات في أوقاتها بعد ما كانت تصلى في آخر الوقت، مع أمور جليلة كان يسمع من عمر فيها.

قيل إن سليمان بن عبد الملك حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر أما ترى هذا الخلق لا يحصي عددهم إلا الله ؟ قال هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غداً خصماؤك فبكى بكاءً شديداً اصطحبه الخليفة سليمان بن عبد الملك يوماً لزيارة بعض معسكرات الجيش وأمام معسكر يعج بالعتاد والرجال، سأله سليمان في زهوه ما تقول في هذا الذي ترى يا عمر؟ فقال أرى دنيا، يأكل بعضها بعضاً وأنت المسئول عنها والمأخوذ بها فقال له بعد أن بُهت ما أعجبك فقال عمر بل ما أعجب من عرف الله فعصاه، وعرف الشيطان فاتبعه، وعرف الدنيا فركن إليها ولما مرض سليمان بدابق قال لرجاء بن حيوة يا رجاء أستخلف ابني؟ قال ابنك غائب ولا تدري أحي هو ام ميت قال فالآخر؟ قال هو صغير، قال فمن ترى؟ قال عمر بن عبد العزيز، قال أتخوف بني عبد الملك أن لا يرضوا قال فوله، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، وتكتب كتاباً وتختمه، وتدعوهم إلى بيعةٍ مختوم عليها قال فكتب العهد وختمه، وخرج رجاء، وقال إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب، قالوا ومن فيه؟ قال مختوم، ولا تُخبرون بمن فيه حتى يموت، فامتنعوا، فقال سليمان انطلق إلى أصحاب الشُّرط ونادِ الصلاة جامعة، ومرهم بالبيعة، فمن أبى فاضرب عنقه، ففعل، فبايعوا، قال رجاء فلما خرجوا أتاني هشام في موكبه فقال قد علمت موقفك منّا، وأنا أتخوف أن يكون أمير المؤمنين أزالها عني، فأعلمني ما دام في

الأمر نفس، قلت سبحان الله يستكتمني أمير المؤمنين وأطلعك، لا يكون ذاك أبداً، فأدارني وألاصني، فأبيت عليه فانصرف، فبينا أنا أسير إذ سمعت جلبة خلفي، فإذا عمر بن عبد العزيز فقال رجاء، قد وقع في نفسي أمر كبير من هذا الرجل، أتخوف أن يكون جعلها إليّ ولست أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دام في الأمر نفس لعلي أتخلص، قلت سبحان الله، يستكتمني أمراً أطلعك عليه.

بويع بالخلافة بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك وهو لها كاره فأمر فنودي في الناس بالصلاة، فاجتمع الناس في مسجد بني أمية - المسجد الأموى بدمشق، فلما اكتملت جموعهم، قام فيهم خطيبًا، فحمد الله ثم أثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني فيه ولا طلب له ولا مشورة من المسلمين، وإني خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم خليفة ترضونه فصاح الناس صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك، فَولِ أمرنا باليمن والبركة فأخذ يحض الناس على التقوى ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة، ثم قال لهم أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته،ومن عصى الله فلا طاعة له على أحد، أيها الناس أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ثم نزل عن المنبر

وقد تمت البيعة للخلافة في دمشق سنة 99 هجرية في مسجد دمشق الكبير الجامع الأموى.

يقول التابعي العالم الجليل رجاء بن حيوة لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة وقف بنا خطيبا فحمد الله ثم أثنى عليه، وقال في جملة ما قال يا رب إني كنت أميراً فطمعت فى الخلافة فنلتها، يا رب إني أطمع بالجنة، اللهم بلغني الجنة قال رجاء فأرتج المسجد بالبكاء فنظرت إلى جدران المسجد هل تبكي معنا واتجه عمر إلى بيته وآوى إلى فراشه، فما كاد يسلم جنبه إلى مضجعه حتى أقبل عليه ابنه عبد الملك وكان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً، وقال ماذا تريد أن تصنع يا أمير المؤمنين؟ فرد عمر أي بني أريد أن أغفو قليلاً، فلم تبق في جسدي طاقة قال عبد الملك أتغفوا قبل أن ترد المظالم إلى أهلها يا أمير المؤمنين؟، فقال عمر أي بني، إني قد سهرت البارحة في عمك سليمان، وإني إذا حان الظهر صليت في الناس ورددت المظالم إلى أهلها إن شاء الله فقال عبد الملك ومن لك يا أمير المؤمنين بأن تعيش إلى الظهر؟! فقام عمر وقبَّل ابنه وضمه إليه، ثم قال الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني واشتهرت خلافة عمر بن عبد العزيز بأنها الفترة التي عم العدل والرخاء في أرجاء البلاد الإسلامية حتى أن الرجل كان ليخرج الزكاة من أمواله فيبحث عن الفقراء فلا يجد من في حاجة إليها كان عمر قد جمع جماعة

من الفقهاء والعلماء وقال لهم إني قد دعوتكم لأمر هذه المظالم التي في أيدي أهل بيتي، فما ترون فيها؟ فقالوا يا أمير المؤمنين إن ذلك أمرًا كان في غير ولايتك، وإن وزر هذه المظالم على من غصبها ، فلم يرتح عمر إلى قولهم وأخذ بقول جماعة آخرين منهم ابنه عبد الملك الذي قال له أرى أن تردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها، وإنك إن لم تفعل كنت شريكا للذين أخذوها ظلما فاستراح عمر لهذا الرأي وقام يرد المظالم إلى أهلها.

وعن عطاء بن أبي رباح قال حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه، سائلة دموعه، فقالت يا أمير المؤمنين، ألشئ حدث؟ قال يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمي دونهم محمد ﷺ، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عن خصومته، فرحمت نفسي فبكيت كان شديد المحاسبة لنفسه وَرِعًا تقيًا، كان يقسم تفاحًا أفاءه الله على المسلمين، فتناول ابن له صغير تفاحة، فأخذها من فمه، وأوجع فمه فبكى الطفل الصغير، وذهب لأمه فاطمة، فأرسلت من أشترى له تفاحاً وعاد إلى البيت وما عاد معه بتفاحة واحدة، فقال لفاطمة هل في البيت تفاح؟ إني

أَشُمُ الرائحة؟، قالت لا، وقصت عليه القصة قصة ابنه فَذَرفت عيناه الدموع وقال والله لقد انتزعتها من فم ابني وكأنما أنتزعها من قلبي، لكني كرهت أن أضيع نفسي بتفاحة من فيْء المسلمين قبل أن يُقَسَّم الفَيءُ.

وأشتهى عمر تفاحاً، فقال لو كان لنا شيء من التفاح، فإنه طيب الريح طيب الطعم فقام رجل من أهل بيته فأهدى إليه تفاحاً، فلما جاء به قال عمر ما أطيب ريحه وأحسنه، أرفعه يا غلام فاقرئ فلاناً منا السلام وقل لهُ إن هديتك قد وقعت منا بموقع حيث تحب فقال الرجل يا أمير المؤمنين، ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي محمد ﷺ كان يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فقال ويحك، إن الهدية كانت للنبي وهي لنا اليوم رشوة وعن بشير بن الحارث قال أطرى رجل عمر بن عبد العزيز في وجهه، فقال له عمر يا هذا لو عرفت من نفسي ما أعرف منها، ما نظرت في وجهي.

وقبل أن يلي عمر بن عبد العزيز الخلافة تمرّس بالإدارة والياً وحاكماً، واقترب من صانعي القرار، ورأى عن كثب كيف تُدار الدولة، وخبر الأعوان والمساعدين؛ فلما تولى الخلافة كان لديه من عناصر الخبرة والتجربة ما يعينه على تحمل المسئولية ومباشرة مهام الدولة، وأضاف

إلى ذلك أن ترفَّع عن أبهة الحكم ومباهج السلطة، وحرص على المال العام،وحافظ على الجهد والوقت، ودقَّق في اختيار الولاة، وكانت لديه رغبة صادقة في تطبيق العدل وخلاصة القول أن عمر بن عبد العزيز رجل زهد وولاية ووجد نفسهُ فجأة خليفة؛ بل كان رجل دولة أستشعر الأمانة، وراقب الله فيما أُوكل إليه، وتحمل مسئولية دولته الكبيرة بجدٍّ واجتهاد؛ فكان منه ما جعل الناس ينظرون إليه بإعجاب وتقدير وكان يختار ولاته بعد تدقيق شديد، ومعرفة كاملة بأخلاقهم وقدراتهم؛ فلا يلي عنده منصبًا إلا من رجحت كفته كفاءة وعلمًا وإيمانًا، وحسبك أن تستعرض أسماء من اختارهم لولاياته؛ فتجد فيهم العالم الفقيه، والسياسي البارع، والقائد الفاتح، من أمثال أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أمير المدينة وقاضيها، والجراح بن عبد الله الحكيمي، أمير البصرة، وكان قائدًا فاتحًا، وإداريًا عظيمًا، وعابدًا قائدًا، والسمح بن مالك أمير الأندلس، وكان قائدًا فذًا، استُشهد على أرض الأندلس، وكان باقي ولاته على هذه الدرجة من القدرة والكفاءة وكان عمر لا يكتفي بحسن الاختيار بعد دراسة وتجربة، بل كان يتابع ويراقب، لكن مراقبته لم تكن مراقبة المتهم، بل كان يراقب تطبيق السياسة العامة التي وضعها للدولة وإذا كان قد أخذ نفسه بالشدة والحياة الخشنة، فإنه لم يلزم بها ولاته، بل وسّع عليهم في العطاء، وفرض لهم رواتب جيدة تحميهم من

الانشغال بطلب الرزق، وتصرفهم عن الانشغال بأحوال المسلمين، كما منعهم من الاشتغال بالتجارة، وأعطى لهم الحرية في إدارة شئون ولاياتهم؛ فلا يشاورونه إلا في الأمور العظيمة، وكان يظهر ضيقه من الولاة إذا استوضحوه في الأمور الصغيرة، حيث كتب إليه أحد ولاته يستوضح منه أمرًا لا يحتاج إلى قرار من الخليفة، فضاق منه عمر، وكتب إليه أما بعد، فأراك لو أرسلتُ إليك أن اذبح شاة، ووزِّع لحمها على الفقراء، لأرسلت إلي تسألني كبيرة أم صغيرة؟ فإن أجبتك أرسلت تسأل بيضاء أم سوداء؟ إذا أرسلت إليك بأمر، فتبيَّن وجه الحق منه، ثم أمْضِه وقد كان أول من أوقف عطايا بني أمية وأول من أوقف عطايا الشعراء وفي آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز من منبر الجامع الكبير في دمشق قال إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للفصل بين عباده، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما أسلف، فاتقوا الله عباد الله

قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته، وأني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق ثم نزل فما عاد إلى المنبر بعدها حتى توفي سنة 101 للهجرة ودفن في منطقة دير سمعان من أعمال المعرة بالقرب من حلب في سوريا وقد قال بعض المؤرخين أن عمر بن عبد العزيز قد قتل مسموماً على أيدى بعض أمراء بنى أمية بعد أن أوقف عطاياهم وصادر ممتلكاتهم وأعطاها لبيت مال المسلمين وهذا الرأي الأرجح واستمرت خلافته فترة قصيرة جداً، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف، ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلاً في الرعية قائماً فيها بأمر الله وعندما توفي لم يكن في سجنه رجل واحد وفي عهده انتشر العلم وكثرت المساجد في أرجاء الدولة الأموية التي تعلم القرآن، وفي عهده القصير أوقف الحرب مع جيرانه ووسع العمل داخل دولته (البنية التحتية للدولة) كالشوارع والطرقات والممرات الآمنة ودور الطعام (التكايا) كما في دمشق وحلب والمدينة وحمص ومدن مصر والمدن الإسلامية في كل البقاع والمدارس ونسخ الكتب والترجمة والتعريب ونقل العلم وإلى غير ذلك من الأعمال الخيرة حتى دعاه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين.

الفصل التاسع: يزيد بن عبد الملك

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم القرشي الأموي الدمشقي وكنيته أبو خالد وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ولي الخلافة بدمشق بعد عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك وكان عادلا تولى الخلافة في دمشق مكملاً رسالة الدولة الأموية في نشر الإسلام وكانت أيامه أيام فتوحات وغزوات، أعظمها حرب الجراح الحكمي في بلاد ما وراء النهر مع الترك واللان وأنتصر عليهم، وكان يزيد بن عبد الملك من أصحاب المروءات مع إفراط في طلب الملذات، فقد هام حبا بجاريتين من جواريه، إحداهما تدعى حبابة والأخرى تسمى سلامة وقد تتيم بحب حبابة وبنى لها قصراً جميلاً بدمشق وزينة وجهزه بأفضل الزينة واشتهرت قصة حبابة أيما شهرة في التاريخ ومات بعد موتها بأيام يسيرة يقال سبعة عشر يوماً، ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره وقد ذكرت روايات غير مؤكده عنه بما لا يليق بسبب عشقه للجاريات وما إلى ذلك غير

أن بعض المؤرخين ومنهم المؤرخ ابن تغرى بردي صاحب كتاب النجوم الزاهرة يرفضون هذه الروايات ويردونها إلى نقمة العباسيين المتمردين على الأمويين خاصة في هذه الفترة من أواخر حكم الأمويين، وأنها مدسوسة ومغرضة.

خطب يزيد بن عبد الملك بالناس قائلاً أيها الناس انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة لله فمن أطاع الله أطيعوه ما أطاع فإذا عصى أو دعي إلى معصية فهذا أهل أن يعصى ولا يطاع 000 وقد أرسل في نفس هذه السنة إلى من كان تحت إمرته في العراق يوسف بن عمر وأحضره إلى دمشق وعندما وقف أمامه وبين يديه وكان ذو لحية طويلة فأخذ بلحيته ووبخه وأنبه وعزله من منصبة بسبب عدم عدله وبسبب حنقه على اليمانية وهم قوم خالد بن عبد الله القسري، وهذا التصرف وهذه الخطبة ليزيد بن عبد الملك دلالة على عدالته في الحكم، ونزاهته وبعده عن الشبهات يقال انه مات وعمره أربعة وثلاثون عاماً وفي روايات أخرى غير ذلك ودام حكمه أربعة سنوات ونيف من الأشهر قيل إنه مات بحوران ونقل إلى دمشق وصلى عليه ابنه الوليد وكان عمره خمسة عشر عاماً وأخوه هشام بن عبد الملك وتذكر الروايات أنه حمل على أعناق الرجال ودفن بباب الجابية في دمشق.

الفصل العاشر: هشام بن عبد الملك

كان عاشر خلفاء بني أمية (حكم 105-125 هـ/724-743 م)، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها، حارب البيزنطيين واستولت جيوشه على ناربونه وبلغت أبواب بواتيه (فرنسا) حيث وقعت معركة بلاط الشهداء.

ولد في دمشق بويع للخلافة بعد وفاة أخيه يزيد عام 723م. وتزايدت في عهده العصبية القبلية بين المضرية واليمانية، واشتعلت فتن وثورات عديدة في أنحاء الدولة ثورة الخوارج والشيعة في الكوفة (بقيادة زيد بن علي بن الحسين)، والبربر في المغرب؛ وكذلك أضطربت الفتن في بلاد ما وراء النهر، وقد قضى عليها جميعاً بحنكته ودهائه وقوته في عهده صار للدولة الأموية إضافة للعاصمة الدائمة ومقر الخلافة دمشق، وعاصمة صيفية وهي مدينة الرصافة على نهر الفرات بسوريا تسمى رصافة هشام عرفت بأنها جنات وبساتين مصغرة عن بساتين دمشق، أهتم بتنظيم الدواوين، وعمل على رعاية

العلم والثقافة، وترجمت في عهده الكثير من المؤلفات. عمل على إصلاح الزراعة فجفف المستنقعات وزاد مساحة الأراضي المزروعة على ضفاف الأنهار وفي أرجاء الدولة واهتم بالتوسعات، وحقق العديد من الانتصارات على الروم وفي جنوبي بحر الخزر تميز عهده بسيادة الأمان في بلاد الشام وأرجاء البلاد الإسلامية توفي بالرصافة، ويعتبر من الخلفاء الأمويين الأقوياء.

ومن أهم انجازاته أن قام بتعريب الدواوين وإنهاء العمل باللغة البيزنطية كلغة دولة والعمل باللغة العربية وأعاد الجراح بن عبد الله الحكمي لولاية بلاد ما وراء النهر وأقره عليها بعد ما كثرت الاضطرابات عام 111هـ، 729م، فتصدى الجراح للخارجين عن دولة الخلافة من الترك والخزريين وغيرهم، وحارب في معركة حامية الوطيس في بلاد داغستان حيث حاربهم عند مضيق الدربند (باب الأبواب)، وأستدرجهم إلى صحراء ورثان، وصمد فيها الجراح مع أصحابه وأدت في النهاية إلى استشهاده، وعندما وصل الخبر إلى الخليفة بمقتله واستشهاده، أمر بتسيير جيش بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي وأرسل إلى الأمراء الأجناد بمساندة هذا الجيش وأناط بأخيه مسلمة بن عبد الملك بقيادة هذا الجيش، وكان في هذا الجيش آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، وكان من كبار المجاهدين فما إن وصل هذا الجيش إلى هناك حتى دك

قلاع الخزريين واللان والأتراك وغيرهم، وضم البلاد إلى دار الخلافة الإسلامية، وغزا مسلمة بن عبد الملك الترك حتى بلغ مدينة باب الأبواب وهي ميناء كبير على بحر الخزر ومدينة كبيرة محصنة، من ناحية أذربيجان ومن ذلك التأريخ لم تصل الدولة الإسلامية إلى أوسع من هذه المساحة في الأتساع الجغرافي، من الصين شرقا إلى الأطلسي غربا، وكانت عاصمتها دمشق.

وشجع العلماء، وأهتم بالبناء وأشتهر عهده بنظام العمارة الأموي، وأرسى الأمن في أرجاء الدولة، وفتح العديد من البلدان وأرسل الرسل ونشر الإسلام في بلاد ما وراء النهر والهند والسند وغيرها من البلدان، وعمل على تطوير الزراعة ونظام الري، وأهتم بالترجمة وساند العلماء والفقهاء وجلب المفكرين والعلماء إلى دمشق، وانشأ المكتبات والمطابع ودور العلم وكانت دمشق في عهده منارة للعلم والحضارة.

الفصل الحادى عشر: الوليد بن يزيد بن عبد الملك

الحاكم الحادي عشر من حكام بني أمية يلقب أبو العباس حكم سنة واحدة وشهرين من 743 إلى 744 م أمه بنت محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج تولى الحكم في دمشق بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك ، عرف باستحلاله لكل حرمة، وارتكابه لكل بدعة، واقترافه لكل موبقة وفي مصادر التاريخ من أفعاله وأشعاره ما يأباه الذوق والعرف الاجتماعي، انتشرت في زمانه الدعارة، والمجون اشتهر بالتلوط وقتل من قبل جنده في الحرب التي وقعت بينه وبين عمه يزيد بن الوليد سنة 126هـ (744م) كان على رأسهم محمد بن خالد القسري البجلي وكان ذلك في قصر النعمان بن بشير بالبخراء، وحمل رأسه إلى دمشق فنصب بالجامع، وعرض رأسه على أخيه سليمان بن يزيد فقال بعداً له أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً وكان الوليد أمر بالقبض على خالد بن عبد الله القسري البجلي وتعذيبه حتى مات، فكان اتجاه ابنه محمد على رأس الجماعة التي قتلت الوليد، إنما كان انتقاماً لوالده خالد القسري وأخذا بثأره مات الوليد

وعمره 38 سنة ومدة حكمه قصيرة لم تدم أكثر من سنة واحدة وقد عزم على أن يبني أعلى الكعبة في بيت الله الحرام قبّة يشرب فيها الخمر، ويشرف منها سكران منتشياً على الطائفين ببيت الله الحرام.

الفصل الثانى عشر :يزيد بن الوليد بن الوليد بن عبد الملك

وهو الخليفة الأموي الثاني عشر. توفي بعد توليه الخلافة بقليل فلم يدم حكمه أكثر من ستة أشهر، سمي بيزيد الناقص لأنه أراد أن يقتدي بعمر بن عبد العزيز فأنقص رواتب الجيش أسوة بعمر بعد أن كان يزيد الثاني الخليفة الأموي التاسع قد زادها بعد توليه الخلافة .

تولى الحكم بعد قيامه بانقلاب على ابن عمه الوليد بن يزيد إذ تحرك من ضاحية المزة إحدى ضواحي دمشق وسيطر على المسجد الجامع وأرسل قائدا من عنده استطاع القاء القبض على الوليد الثاني في قصره وقتله. كانت نفسه تميل للإصلاح وكان متقشفا ولى عهده أخوه إبراهيم بن الوليد وكان أول من خرج بالسلاح في العيدين خرج يومئذ من بين صفين من الخيل عليهم السلاح من باب الحصن إلى المصلى ومن خطبه بعد مقتل الوليد : إني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ، ولكن خرجت غضبا لله ولدينه ، وداعيا إلى كتاب الله وسنة نبيه ، حين

درست معالم الهدى ، وطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار المستحل للحرمة ، والراكب البدعة ، فأشفقت إذ غشيكم ظلمه أن لا يقلع عنكم من ذنوبكم ، وأشفقت أن يدعو أناسا إلى ما هو عليه ، فاستخرت الله ، ودعوت من أجابني ، فأراح الله منه البلاد والعباد .

أيها الناس إن لكم عندي إن وليت أن لا أضع لبنة على لبنة ، ولا أنقل مالاً من بلد إلى بلد حتى أسد الثغور ، فإن فضل شيء رددته إلى البلد الذي يليه ، حتى تستقيم المعيشة وتكون فيه سواء ، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم ، فأنا لكم ، وإن ملت ، فلا بيعة لي عليكم ، وإن رأيتم أقوى مني عليها ، فأردتم بيعته ، فأنا أول من يبايع ، ويدخل في طاعته ، وأستغفر الله لي ولكم

الفصل الثالث عشر: إبراهيم بن الوليد

الخليفة الأموي الثالث عشر تولى الخلافة بعهد من أخيه يزيد الثالث لم يدم حكمه طويلا إذ لم يبايعه إلا أهل دمشق،و خالفه ولم يعترف به مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فقد عده مسئولا هو وأخوه يزيد الثالث عن مقتل الخليفة الحادي عشر الوليد الثاني بن يزيد الثاني وكانت هذه مناورة منه لاستلام الخلافة أتى حكم إبراهيم بن الوليد في فترة اضطراب الدولة بعد ان كانت في أوج ازدهارها وقوتها ، أمر بقتل اثنين من أبناء الخليفة الوليد الثاني خوفا على حكمه ولبث في الخلافة سبعين يومًا، وانتهى حكمه عندما تولى مروان بن محمد امر دمشق وسيطر على الدولة وتنازل له إبراهيم عن الخلافة، واختفى إبراهيم، ثم ظهر بعد أن أمنه مروان وقُتل مع من قتل من بني أمية حين سقطت دولتهم على يد العباسيين، وقيل غرق في نهر الزاب، وكان ذلك سنة 126 هجري.

الفصل الرابع عشر :مروان بن محمد

مـروان بـن محمـد الملقـب بالحمـار الوحشـي بـن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (72 هـ-13 ذي الحجة 132هـ/23 يوليو 750 م) هو آخر خلفاء بني أمية في دمشق يلقب بمروان الحمار لكثرة ما كان يلاقيه من متاعب وأحمال كثيرة من الثوار والخوارج أعداء الأمة، تولى الخلافة رحمه الله بعد ابن عمه إبراهيم الذي تخلى عن الخلافة له يكنى بأبي عبد الله القائم بحق الله، فإنه كان لا يفتر عن محاربة الخوارج قبل توليه الخلافة كان والياً على إقليم أرمينية وأذربيجان وقد أظهر كفاءة وقدرة في إدارة شئون ولايته، فرد غارات الترك والخزر على حدود ولايته بعد معارك كبيرة وعندما صعد للحكم وتولى الخلافة بالرغم من قضاء مروان بن محمد على الاضطرابات والثورات وملاحقة المتآمرين على كيان الدولة الإسلامية والخارجين على القانون في الفترة التي تلت بداية حكمه، لم يستطع الوقوف في طريق المؤامرات والفتن التي

عصفت بدولته هزم في معركة الزاب الحاسمة، وسقطت دولة الأمويين بعدها، وقيل انه استمر متخفياً حتى عثر عليه في أبوصير وقتل.